

بتأدية المعاني والافكار . من هنا جاءت وسائل تعبيره صعبة وتتطلب الكثير من التركيز لتعبيرها وتفهمها شأنها في ذلك شأن كل وسائل التعبير الفلسفية . واخيرا قد يكون من الظلم التركيز في هذا الكتاب على الفصل الذي يتحدث فيه المؤلف عن قضية فلسطين وحسب . فالكتاب في الحقيقة يطرح الى أبعد من ذلك . وكما يقول الاب سركيس لمعالجة كل القضايا التي يطرحها هذا الكتاب بصورة وافية ليست هي الهدف كما أنها ليست ممكنة . « غان تلفت الانتباه الى وجود المشكلة ومعطياتها أهم وأنفع من أن تعرض روايتك وحلوك . وهنا الفرق بين مهنة السياسة والفكر السياسي . فالاولى تبسط وترتجل وتجازف . فيما يهتم الفكر بالدقائق ويدعو كل واحد الى النضوج والمساهمة » .

طبعا مهنة السياسة بعيدة كل البعد عن هذا الكتاب اما الفكر السياسي فهو جوهره وكامل مضمونه . وهو على كل حال فكر سياسي مثالي - بالمعنى الايجابي للكلمة - يجوع بين ارفع مستويات الشجاعة الادبية وبين أعلى صرخات الاستنكار للاستغلال اللاحق بالانسانية سواء اكان هذا الاستغلال قائما على مؤسسات قمعية ام على ممارسات سياسية فاضحة كما يجري علنا فوق أرض فلسطين . وليس ادل على هذا الموقف من عنوان الكتاب نفسه « المآسي المعاصرة والمصير العربي » . فالمؤلف يكاد يلخص كل موقفه في هذه الجملة التي يختتم بها كلامه عن فلسطين : « وليس من سبب الصدق ان تعاصر المأساة الفلسطينية ما تنخموا في تسميته بالدنية . وليس من باب الصدق ان كانت المأساة الفلسطينية ناتجة مآسي هذا القرن وهي تتكاثر في كل بقعة من ارجاء الدنيا يشعر فيها شعوب بدعوتهم الى الحرية . وليس من باب الصدق ان تكون المأساة الفلسطينية بين مآسي هذا القرن هي التي يتهاكون في طمس رموزها المقدسة بمظاهر انسانية واكاذيب سلمية وذرائع قانونية » . ولحسن حظنا فان المؤلف ، رغم رؤيته النافذة لمآسي هذا العمر ، يمتاز ايضا بتناول تاريخي وحدهس عميق بأن انتصار الحرية في كل ارجاء العالم وبشكل اخص في فلسطين امر واقع لا محالة رغم كل الدلائل الظاهرة .

ماجد نعمه

الفلسطيني منذ الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ سبتىي مفتوحة لن يريد الاطلاع على رصيد الدنية . وهم يودون اليوم الانتهاء من تلك الورطة التي تنافتم أمرها . ولكن الفلسطيني لن ينفك قائما يوما بعد يوم يخط بلحمته بدمه وحيدا جليلا ، قاهرا . وميقروها أناس عرب ويهود وغرباء . أما العرب فيقرؤونها كما تقرأ الكتب المقدسة . ويتعلم فيها اليهود ان اليهودية تنتهي حيث تبدأ الصهيونية . ويرى فيها الجميع علامة الفصل بين عالم ينكر وقد أمسده المال واستسلم الى المعاصي ، وعالم قوي كالروح يؤكد وهو جالس فوق الرماد » .

هذه الجملة الاخيرة تكاد تلخص كل الكتاب وتكاد تضمنا في المناخ الفكري العام الذي يتوجه المؤلف من خلاله الينا . والحقيقة ان حكمنا على هذا العمل الفريد من نوعه في المكتبة العربية لا يمكن الا ان يكون ايجابيا ، ان لم نقل مؤيدا ومشجعا . فبالرغم من بعض الآراء التي وردت في هذا الكتاب والتي يمكن ان تفسر ، اذا اخذت في غير محلها ودون تحليل دقيق لها ، وكأنها آراء مغرقة في المثالية والتجريد ، وبالرغم من بعض المواقف العنيفة ضد المدنية الصناعية والتي هي اقرب ما تكون الى الصوفية منها الى التحليل الموضوعي البارز ، بالرغم من كل هذا فان الكتاب يكشف عن انتاج فكري حقيقي وعن مساهمة اكيدة في اغناء التراث النضالي العربي . وليس من الصعب على القارئ ان يكتشف ان المؤلف يبتعد ، عن سابق تصور وتصميم ، عن كل القضايا الاقتصادية والسياسية المباشرة ويهتم بشكل اساسي بالابعاد الفكرية والحضارية للانسان العربي المعاصر وينظر الى الصراع العربي الصهيوني من منظار تاريخي فوقي . من هنا جاءت المعالجة سلمية في خطوطها العريضة وفي تصوراتها للمستقبل وجاءت في المتابل ضعيفة في بعض التفاصيل الا ان هذه الثغرات لا تنتقص شيئا من قيمة الافكار المطروحة خاصة اذا حكمنا عليها من خلال الموقع الاجتماعي الذي يحتله هذا الكاهن الجريء . انه يطرح افكاره بدون مجاملة او خوف او تهرب وحتى بدون رابط ظاهري فتأتي كأنها انفجارات في وجه الظلم والاستغلال والمدنية اللانسانية . بالاضافة الى كل هذا ، هناك الالوب الذي صيغت به هذه النظريات وهو أسلوب لا يتم بالناحية الشكلية بقدر اهتمامه